نحو دور سياسي مؤثر للمجتمع المدني في صياغة مستقبل الدولة المدنية الحديثة

ياسين التميمي*

في هذه المرحلة المفصلية من تاريخ اليمن، وفيما تدشن القوى السياسية الرئيسية مرحلة انتقال السلطة في البلاد على أساس من صياغة دستور جديد، من شأنه أن يحدد طبيعة وملامح النظام السياسي لليمن بعد عامين، تتأكد الحاجة الماسة إلى حشد قوى المجتمع المدني التي تحمل على عاتقها مشروع الدولة المدنية الحديثة في اليمن، وفي مقدمة هذه القوى، تيار الوعي المدني وسيادة القانون، الذي تأسس في الـ 30من أكتوبر/ تشرين الأول2011 م.

إن التأكيد على أهمية قوى المجتمع المدني، ينطلق من وعي وإيمان راسخين بالدور المحوري للمجتمع المدني باعتباره القاعدة الأساسية للدولة المدنية الحديثة في اليمن،وباعتباره منتج الدولة والتاريخ، ولأنه لا يمكن الحديث عن الدولة المدنية، مالم يكن هناك مجتمع مدني قوي ونشط ويضطلع بدوره، ليس فقط التنموي، بل والسياسي أيضاً.

إن دوراً كهذا، يبدو ملحاً فيما اليمنيون جميعاً يقفون على أعتاب مرحلة جديدة من حياتهم شعارها (التغيير، والدولة المدنية الحديثة)، ما يحتم على قوى المجتمع المدني، العمل وبإرادة قوية على إحداث الانتقالة النوعية في طبيعة دورها، من دائرة نشاطها؛ كمحفز للمجتمع في عملية التنمية، إلى دور سياسي، ينبغي أن يحمل على عاتقه مهمة التأسيس المدني لعملية التحول الديمقراطي التي ستشهدها البلاد خلال السنتين المقبلتين، وفي إطار المرحلة الانتقالية المنصوص عليها في المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية المدعومة بقرار مجلس الأمن الدولي رقم(٢٠١٤)، وأن تستهدف بهذا الدور، الدفع بمشروع الدولة المدنية الحديثة لتكون المنجز الاستراتيجي لمرحلة التحول السياسي والديمقراطي للبلاد.

إن الإيمان بأهمية دور المجتمع المدني في التأسيس للدولة المدنية الحديثة في اليمن،يقتضي منا أولاً أن نقف معرفياً أمام مفهوم المجتمع المدني، على نحو ما نبينه في الآتي:

المجتمع المدني المفهوم والدور:

أ-المفهوم:

هناك العديد من الاجتهادات التي حاولت أن تقدم تعريفاً محدداً لـ(مؤسسات المجتمع المدني)، وهي التسمية التي باتت تختزل إلى (المجتمع المدني).

فقد أوردت موسوعة وكيبيديا الإليكترونية تعريفين لمفهوم المجتمع المدني، الأول: هو (ذلك المجتمع السياسي الذي يحكمه القانون تحت سلطة الدولة)، وهي بهذا التعريف تضم كل نشاط مدني سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، ضمن مفهوم المجتمع المدني، وفي التعريف الثاني: تعرف الموسوعة المجتمع المدني بصفته (مجالاً للمجموعات والجمعيات المستقلة مثل جمعيات رجال الأعمال وجماعات الضغط والأندية)، وهي هنا، تضفي الطابع الأهلي المستقل للمجتمع المدني، عن مؤسسات الدولة الرسمية، أي تفصل بين الخاص والعام.

وتعرف أستاذ العلوم السياسية المساعد بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بمصر، الدكتورة هويدا عدلي، المجتمع المدني بأنه (يشير إلى مجموعة التنظيمات الطوعية والاختيارية القائمة فعلاً في معظم المجتمعات المعاصرة، مثل النقابات المهنية والعمالية واتحادات رجال الأعمال واتحادات المزارعين والجمعيات الأهلية وغيرها من التنظيمات).

على أن هناك اجتهادات موازية بشأن الإطار العام الذي يتسع لاستيعاب ما يندرج تحت مفهوم المجتمع المدني، فبعض الاجتهادات ترى أن المجتمع المدني مفهوم يضم في إطاره: المؤسسات الأهلية، والتكوينات والاتحادات المهنية، والإبداعية، والاتحادات العمالية، والنوادي الرياضية والشبابية.

وبعض الاجتهادات تضيف الأحزاب السياسية إلى قوام المجتمع المدني، وهو اجتهاد موضوعي،لأن الأحزاب السياسية تتشابه من حيث بنيانها المدني التعاقدي، وطبيعة نشاطها الموجه لغايات النفع العام، وتحفيز الأفراد والمجتمعات للمشاركة في الشأن العام.

ونحبذ هنا أن نختزل التعريفات، التي اجتهد بشأنها المختصون، في سياق الإحاطة بمفهوم المجتمع المدني، إلى التعريف التالي: (المجتمع المدني، هو مفهوم يشير إلى تلك التكوينات المدنية التعاقدية، التي يؤسسها أفراد، لتحقيق أهداف تم تعيينها من قبلهم، ويتوسلون لتحقيقها بآلية العمل الجماعي الطوعي، لإنفاذ إرادتهم المشتركة، في تحقيق النفع العام، وتعزيز ونشر القيم والمبادئ المحفزة للمبادرات الفردية والجمعية، من أجل تنمية وتطوير المجتمع).

ب-الدور التنموي:

لقد أصبحت مؤسسات المجتمع المدني، منذ نحو ثلاثة عقود، مكوناً مدنياً موازياً للمؤسسات الرسمية، في الاضطلاع بعملية التنمية بأبعادها الشاملة، وارتقت بدورها هذا، لتصبح تحالفاً مؤثراً على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، بعد أن أقرت منظمة الأمم المتحدة بأهمية مشاركة المجتمع المدني في المؤتمرات التي ترعاها المنظمة، حيث تأتي هذه المشاركة، في إطار منتدى دولي موازٍ، ينعقد بالتزامن مع المؤتمرات الدولية ذات التمثيل الحكومي، والتي تُعنى بالتنمية وبالديمقراطية كذلك.

إن التحول في النظرة إلى دور المجتمع المدني، قد فتح آفاقاً واسعة أمام طبيعة الأدوار التي يمكن أن ينهض بها المجتمع المدني، ليتجاوز الدور الذي ارتبط به كشريك للحكومة في تحقيق مقاصد النفع العام، وتحفيز الأفراد والمجتمع للانخراط في عملية التنمية،إلى دور أكثر شمولاً، ارتبط بشكل أعمق باستحقاقات جديدة ذات صبغة سياسية، من خلال النشاط في حقل التنمية الديمقراطية وتعزيز قيم الحكم الرشيد، من خلال ممارسة الرقابة والتقييم، والمحاسبة والمساءلة، وتكريس المفاهيم المدنية، وثقافة احترام القانون.

معايير أداء المجتمع المدني:

يؤشر حضور ودور مؤسسات المجتمع المدني، في أي بلد، وفي منأى عن وصاية السلطة السياسية،إلى رسوخ قيم الحرية والديمقراطية والمشاركة والسيادة الحقيقية للقانون،ويؤشر بالتالي إلى رسوخ أسس الحكم الرشيد.

على أن مؤسسات المجتمع المدني، ينبغي أن تتقيد بجملة من المعايير الضرورية التي تكفل أداءً مؤثراً للمجتمع المدني وتضفي المشروعية اللازمة لدوره، ومن أهم هذه المعايير:

١- العمل التطوعي والمشاركة: بما يقتضيه هذا المعيار من توفر الإرادة لدى الأعضاء للعمل التطوعي، وفي إطار من المشاركة التي تتيح للجميع الإسهام في خدمة المنظمة أو المؤسسة.

٢- الهيكلة والتنظيم: بما يقتضيه هذا المعيار من ضرورة التزام مؤسسات المجتمع المدني بالعمل وفق صيغة تعاقدية، تتفق مع القانون السائد، ويتضمن المبادئ والأهداف، وتحدد العلاقة والأدوار بين أعضائها،وما يقتضيه أيضاً من وجود هيكلة واضحة، تعزز بنيانها المؤسسي، وتضمن أداء إدارياً ومالياً كفؤاً .

٣- الاستقلالية: ويشدد هذا المعيار على مبدأ استقلال مؤسسات المجتمع المدني عن الوصاية، والتبعية السياسية.

٤- المصداقية والشفافية:يوفر هذا المعيار أساساً أخلاقياً متيناً لمؤسسات المجتمع المدني، ويعزز من حجم ثقة. الأفراد والمجتمع بها، ويحول دون انزلاقها إلى ممارسات تنحرف بدورها عن أهدافه ومقاصده المعلنة.

٥- إعمال مبدأ المحاسبة والمساءلة:يوفر هذا المعيار، ضمانة قوية لكفاءة ونزاهة دور مؤسسات المجتمع المدني.

٦- الإدارة الديمقراطية الرشيدة:يوفر هذا المعيار ضمانة قوية لكفاءة أداء مؤسسات المجتمع المدني، والتزامها بمبادئ الحكم الرشيد.

نحو دور سياسي لمؤسسات المجتمع المدني:

في إطار سعي الحكومات، في البلدان النامية والأقل نمواً ومنها اليمن، لاستيعاب المساعدات المقدمة من الدول والمنظمات المانحة، بعد أن تبين أن نهوض الحكومات بمهمة التنمية تواجه تحديات شائكة مرتبطة أصلاً بغياب معايير الحكم الرشيد، بما ينتج عنه من ضعف في كفاءة أداء الأجهزة الرسمية، وهيمنة الممارسات البيروقراطية،والفساد، وغياب النزاهة والمساءلة، أُريد لمؤسسات المجتمع المدني أن تقوم بدورها في استنهاض شراكة المجتمع في المشاريع التنموية، لضمان نجاح وكفاءة هذه المشاريع.

وقد أدى هذا بدوره إلى تأطير دور هذه المؤسسات، تقليدياً ليصبح في سياق تنموي صرف، غير أن الكفاءة التي تميز بها دور مؤسسات المجتمع المدني، في البلدان النامية، قد أسهم في إحداث تحول جوهري في النظرة إلى هذه المؤسسات، من قبل الأمم المتحدة، حيث استدعيت هذه المؤسسات للنهوض بشراكة مؤثرة في استحقاقات التطور التنموي والديمقراطي، وتأسيس أنظمة حكم رشيدة، في البلدان النامية، وهي الاستحقاقات التي هيمنت على أجندة المجتمع الدولي خلال العقد ونصف العقد الماضي.

غير أن العلاقة بين الحكومات في البلدان النامية والأقل نمواً، وبين مؤسسات المجتمع المدني، في تلك البلدان، ومنها اليمن، ظلت رهناً بحالة من عدم الثقة واليقين،وموروث ضغوطات كبيرة على مؤسسات المجتمع المدني، بهدف تجييرها لفائدة الحكومات، وحتى لفائدة النخب السياسية، الحاكمة والمعارضة، ومحاولة استدعاء دور هذه المؤسسات، في حالات محددة تخدم بالضرورة أولويات هذه الحكومات، أو النخب السياسية.

وبلغت العلاقة بين الأنظمة السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، مرحلة من التوتر، عندما طورت هذه المؤسسات من دورها، من خلال ممارستها لدور رقابي فعال، وخوضها مجالات شائكة من وجهة نظر الحكومات، وهي المجالات الحقوقية والديمقراطية، في سياق أدوارها الضاغطة باتجاه تأسيس الحكم الرشيد، وتوعية المجتمع بحقوقه السياسية، ونشر مفاهيم الحياة المدنية، وقيم العدالة والمساواة وسيادة القانون.

إن هذا السياق المتوتر من العلاقة بين الحكومة ومؤسسات المجتمع المدني، على خلفية الدور السياسي لهذه المؤسسات، سيتلاشى حتماً، ما دام الرهان معقودٌ على إرادة المجتمع في فرض أجندة التغيير على الأنظمة السياسية، على نحو ما أفصحت عنه موجة الربيع العربي، والتي جاءت في سياقها الثورة الشبابية الشعبية السلمية في اليمن، والتي استطاعت أن تسقط أنظمة شمولية عتية، وتفتح باب الأمل واسعاً أمام الشعب لكي ينفذ إرادته في التغيير وبناء نظامه الديمقراطي التعددي، في إطار دولة مدنية حديثة.

على أن الدولة المدنية الحديثة، لا يمكن أن ترى النور بدون دور فاعل ومؤثر لمؤسسات المجتمع المدني، وهذا الدور الذي تستدعيه الدولة المدنية الحديثة، كشرط مسبق لوجودها على أرض الواقع، إذ لا دولة مدنية بدون مجتمع مدني قوي ومؤثر، كما سبقت الإشارة.

وإن هذا المستوى من العلاقة السببية بين الدولة المدنية والمجتمع المدني، هي التي توجب على مؤسسات المجتمع المدني أن تنهض بدورها وتقوي بنيتها المؤسسية، وتعظم تأثيرها في المجتمع، متجاوزة كل المحاذير والتحفظات والموانع التي كرستها الأنظمة الشمولية، لكبح الدور السياسي المفترض لمؤسسات المجتمع المدني.

إننا نتطلع بكل الأمل إلى أن نرى مؤسسات المجتمع وهي تمارس دورها في طليعة المجتمع المدني، في سياق دور سياسي مؤثر، ينسجم مع ما تتطلبه المرحلة الانتقالية التي يعيشها اليمن حالياً، وأن تسهم من خلال هذا الدور في صياغة المستقبل السياسي لليمن، على قاعدة الدولة المدنية الحديثة.

قيادي في تيار الوعي المدني وسيادة القانون-
yaseentamim@yahoo.com

مدد يا شباب مدد.. لا مطلع ولا منزل

عارف الدوش

● سألني شاب من جيل التسعينيات، جيل الوحدة هل صحيح أن حرب صيف ٩٤ التي يسميها الكثير من الكتاب وأنت أحدهم بالحرب المشئومة ؟ وذات مرة وصف الدكتور ياسين سعيد نعمان – الذي يمكنني كشاب أن أطلق عليه بانه أحد أهم حكماء اليمن – الحزب الإشتراكي بالمغدور بحرب صيف ٩٤وأتذكر إني قرأت نفس الوصف على الجنوب وابناء الجنوب، وللأسف ضللنا نسمع أبائنا وأمهاتنا وأصدقاء العائلة يتحسرون على أيام عاشوها في عدن، رخص الأسعار والنظام والقانون والأمن والأمان، بساطة العيش ومجانية التعليم والعلاج، وفي أحدى المرات صدمتني وأنا الشاب الذي ولدت في عام تحقيق الوحدة عبارات مثل: أن عيال المسئولين في الجنوب سابقاً كانوا مثل بقية الناس يدرسون معاً في مدرسة واحدة وإذا مرضوا يذهبون الى مستشفى واحد، وسمعت أبي مرة يتكلم مع صديق له أن قادة الدولة السابقة في الجنوب ووزراءها كانوا يسيرون في الشوارع يسكنون في مساكن متواضعة مثلهم مثل الناس العاديين ويجلسون في المقاهي والأرصفة وفي ساحل البحر مع عامة الناس بدون حراسات وهيلمان ونخيط.

● كان الشاب الذي بدأ عامه الثاني والعشرين يتحدث بنبرة حزينة وطلب تفسيراً لوصف حرب صيف ٩٤ بالمشئومة ولماذا يوصف الحزب الإشتراكي اليمني والجنوب بالمغدور، فقلت له: لدولة الجنوب السابقة ايجابيات وسلبيات، لكن من سمعتهم عاشوا سلبيات أكثر بعد تحقيق الوحدة فطغت ايجابيات الزمن الجميل السابق وظلت كذكريات جميلة يتحسرون عليها، وفجأة قطع الشاب العشريني حديثي وقال: سأقول كلاماً ولكن بدون زعل، أنا اسمع كلاماً مثل « هاذول ... أصحاب مطلع الواحد منهم معه ثلاثة وأربعة رواتب أراد الشباب العشريني أن يغرقني بموجة كبيرة من الإحباط أو يصيبني بالحيرة كما هو مصاب بها.

● قلت هذا الشاب العشريني الجدلي لن يقنعه الأ الحديث بشفافية فقلت: نعم الدكتور ياسين سعيد نعمان معه كل الحق في وصف الحزب الإشتراكي اليمني بالمغدور بحرب ٩٤ وما قرأته وسمعته عن الجنوب سابقاً صحيح، فالناس بعد الوحدة فرحوا كثيراً واستبشروا خيراً خاصة عندما قيل الإستفادة من ايجابيات الدولتين الشطريتين السابقتين في بناء دولة الوحدة، لكن ذلك كان مجرد كلام فقط، فالثقة كانت مفقودة بين شركاء الوحدة وظهرت شعارات إلحاقية وإقصائية «عودة الفرع الى الأصل « والهروب الى الوحدة من الإنهيار والضياع « وجرى تعميم السلبيات على الوطن اليمني كله وجاءت حرب صيف ٩٤ لتقضي على أحلام اليمنيين بيمن ديمقراطي موحد، يمن جديد غير يمن الدولتين الشطريتين السابقتين، فلم يغدر بالحزب الإشتراكي اليمني وحده ولكن غدر بكل اليمن، غدر بحلم اليمنيين في دولة جديدة، دولة النظام والقانون والمساواة والعدالة.

● أما ما سمعته ايها الشاب العشريني من أن « هاذول ... أصحاب مطلع» معهم أكثر من راتب، فليس كلهم البعض منهم وهؤلاء عدد قليل جداً وهناك إجراءات جديدة حدت من ذلك وستقضي على هذه الظاهرة نهائيا، وهناك ظلم واستبداد وفقر وقهر وتسلط وهضم حقوق لا يفرق بين فلان من مطلع وفلان من منزل والفساد والفوضى وعدم احترام القانون والعبث بمقدرات البلاد منتشر في كل مكان كغول يفترس أحلام الناس وأمانيهم،ولا أريد أن أتوسع في الشرح، فقد شاهدت بنفسك في ساحة التغيير بصنعاء، اليمن بكل أطيافها وألوانها ولهجاتها ورأيت الظلم والفقر في وجوه الجميع من « مطلع ومنزل» وسقط الشهداء من الشباب والنساء من مختلف مناطق اليمن من « مطلع و منزل» مع أنني كنت لا أحبذ أن أجاريك في مصطلحات « مطلع ومنزل» لا أحب الحديث بها، فما يهمنا في هذه المرحلة هو التركيز على الحاضر والمستقبل وهذا من صلب مهامكم أيها الشباب.

● أنتم ولدتم ودرستم مراحلكم الدراسية من الإبتدائية الى الجامعة أيها الشاب العشريني بعد الوحدة مع زملاء لكم من مختلف مناطق اليمن، من عدن وتعز وصنعاء والمحويت وعمران والحديدة وذمار وصعدة وحضرموت ... الخ، ولا يوجد لديك أنت وجيلك عُقدة،»هاذول .... التي سمعتها ولا عُقدة « أصحاب منزل ومطلع ولا شمالي وجنوبي « ولهذا فأنتم بناة اليمن الجديد،بناة الدولة المدينة الحديثة المنشودة، وهذا ما عبرتم عنه في شعارات ثورتكم الشبابية السلمية «الشعب يريد بناء يمن جديد، الشعب يريد بناء دولة مدنية حديثة» فلا تسمحوا بسرقة أحلامكم أو إفراغ مضامين ثورتكم،والعودة الى مشاريع صغيرة طائفية ومذهبية ومناطقية، لقد عرفتم طريق النضال السلمي فأبقوا في الساحات وراقبوا ولا تصمتوا على أية أخطاء أو انحرافات، والشعب بكل فئاته واطيافه يستمد من حيوية شبابكم طاقته للتغيير فقد أوقدتم شعلة الأمل بعد أن كانت قد انطفئت، وأعدتم حلم ملايين اليمنيين الذي تم وأده بحرب صيف٩٤ م.

● بقي عندي لكم ايها الشباب وصية هامة،هي: أن لا تصمتوا بعد اليوم عن أي أخطاء تحصل واحفظوا جيداً ماقاله الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح:

الصمت عار
نحن عشاق النهار
سنظل نحفر في الجدار
إما فتحنا ثغرة للنور
أو متنا على وجه الجدار
أو ما قاله الشاعر الفلسطيني معين بسيسو
الصمت موت، قلها ومت
فالقول ليس ما يقوله السلطان والامير
وليس تلك الضحكة التى يبيعها المهرج الكبير للمهرج الصغير
فأنت إن نطقت مت
وأنت إن سكت مت
قلها ومت «

فما أوصل اليمن الى ما وصلت إليه اليوم إلا الصمت والخوف من العقاب وتمام يا فندم كل شيء على ما يرام، وأنتم أيها الشباب متحررون من عُقدة « الخوف» وممارسة التنظير بالمقايل بدون فعل جري، بدليل أنكم كسرتم الحواجز النفسية فواجهتم الرصاص والقذائف والغازات ومياه المجاري بصدور عارية، وقدمتم قوافل الشهداء والجرحى والمعوقين، ولا زالت لديكم الكثير من الإبداعات التي لا نعرفها، فمدد يا شباب مدد.

● وأخيراً لا أخفيك سراً أيها الشاب العشريني،أن جيلنا ومن قبله كانوا يرون ان تغيير الرئيس علي عبدالله صالح ونظامه شيء كبير جداً، بل ومعجزة كبرى، فحققتم انتم الشباب من الجنسين بثورتكم الشبابية السلمية تلك المعجزة، وأشعلتم شعلة الأمل لدى الأجيال من كل الأعمار لإنكم أعدتم لها شبابها، ولم يبق من الزمن إلا أيام معدودات الى يوم ٢١ فبراير القادم، والتغيير بدأ باتجاه الدولة المدنية الحديثة الموحدة،والعجلة دارت باتجاه ذلك ولن تعود إلى الوراء، و يتوهّم من يرى غير ذلك لأنه سيجد نفسه خاسراً فمنطق الأشياء سيخذله والتاريخ والجغرافيا، ومدد يا شباب مدد.

با سندوة وسلوك القدوة

أحمد يحيى الديلمي

لا أخفي أني أشفقت كثيراً على الأستاذ/ محمد سالم باسندوة عندما علمت أنه قبل تولي رئاسة حكومة الوفاق الوطني وهو إشفاق طبيعي لا يتعلق بأهلية الرجل وقدراته الذاتية إنما مبعثه صعوبة الظروف الراهنة في الوطن وحساسية المواقف.. أما من حيث الأهلية والقدرات فأنا أعرف الرجل من سنوات طويلة في أحلك الظروف وجدناه صلباً قوي الإرادة شجاعاً إلى جانب ثقافته الواسعة ورصيده النضالي الطويل وقبل هذا وذاك إخلاصه وولاءه الصادق للوطن.

تبددت المخاوف وتحوّل الاشفاق إلى إعجاب وأنا أتابع الهمس الذي انطلق في صفوف من حضروا للمشاركة في موكب تشييع جثمان المرحوم المناضل الوطني الدكتور/ عبدالقدوس المضواحي كان الحشد كبيراً ومن كل فئات المجتمع بمجرد أن تجاوز النعش عتبة باب الجامع تعالت علامات الدهشة والانبهار صفحات الوجوه لأن الأستاذ/ باسندوة يسير خلف الجنازة بنفس التواضع الجم المعهود عنه يخترق الصفوف بثقة مطلقة بالنفس.. لا هيلمان، ولا حراس، ولا مرافقين والناس مبهورون وربما غير مصدقين أن الذي أمامهم رئيس الحكومة ليست أي حكومة لكنها حكومة الوفاق الوطني بما لها وما عليها من مهام وأعباء ومسئوليات.

ثم ما لبثت الدهشة أن تحوّلت إلى إعجاب وإكبار والرجل يوزع الابتسامات ويحرص على مصافحة أكبر عدد من المشاركين طالباً منهم الدعاء بالتوفيق له ولحكومته.

أنه فعلاً سلوك حضاري جعل الرجل موضع القدوة والمثل الأعلى وحاز على إعجاب الناس وقد سمعت أحدهم يقول لصاحبه. هذا دليل إيمان قوي بالله وتوكل عليه عزز ثقة الرجل بنفسه، لأنه لم يقتل ولم يسلب المال العام.. ولم يظلم أحداً أو اعتدى عليه فيخشى انتقامه المشهد جعلني أستحضر مقولة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: (حكمت فعدلت فأمنت ونمت).

قال الآخر:

كم أتمنى أن يجسد هذا السلوك أعضاء مجلس النواب لأن مهامهم كممثلين لقاعدة عريضة من البشر منحوهم الثقة ليعبروا عنه وعن همومهم فكيف سيلتقي الناخب بمن أعطاه ثقته وهو محاط بكتائب بشرية مسلحة، ولا يراه إلا في التلفزيون ويضيف:

– المضحك المبكي أني قبل أيام استمعت إلى عضو من المجلس وهو يتحدث في إحدى القنوات الفضائية عن مقتضيات التغيير والدولة المدنية الحديثة دولة النظام والقانون وفي الصياح رأيته في موكب طويل عريض أكثر من عشر سيارات بلا أرقام مليئة بمليشيات قبلية مدججة بكل أنواع الأسلحة المنظر أثار الاشمئزاز في نفسي وتمنيت لو توقف الأسئلة.. هل هذه هي الدولة المدنية في نظرك؟

تركت الشخصين شدني موقف آخر رأيت عالماً أحترمه يندفع مع الآخرين لمصافحة الأستاذ باسندوة.

يبدو أنه قرأ ما يدور في ذهني تحدث من تلقاء نفسه قائلاً: أمر طبيعي أن نصافحه هناك مشاهد مريبة ترسبت في أذهاننا.

لاأعرف الرجل من قبل إلاّ أن المنظر شدني لأنه مغاير تماماً للمشاهد المفزعة والواقع الذي عشناه سنوات طويلة سنوات العسكرة طغت على كل شيء لاتشاهد مسئولاً في أدنى مستوى من المسئولية في أي مكان حتى في المقابر وبيوت العبادة إلا وحوله ثلة من الجنود يحيطون به كظله وكأنه على عداوة مطلقة مع الشعب صدقني هذه المظاهر تدل على ضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس ونقص الايمان لو وجد الايمان لكان المعين الروحي المولد للصلابة وقوة الإرادة والثقة لأنه يوقظ الضمير ويرتقي بملكات الخوف من الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه.

أعجبني كلام الرجل وتمنيت لو اتخذه الجميع إطاراً منهجياً للالتزام بالضوابط والقيم السلوكية والممارسة في الحياة اليوم ليقوم كل إنسان بالأعباء والمسؤوليات الملقاة على عاتقه مستشعراً الخوف من الله سبحانه وتعالى. وما يشكله من رقابة ذاتية توجه السلوك وتجعل الممارسات في الاتجاه السليم.

حينها تساءلت مع نفسي لماذا؟ لايخرج الوفاق الوطني من نطاق السياسة والرغبات المبيتة لتصبح الجديه والسلوك القويم شعار المرحلة ويرتقي الجميع إلى مستوى المسؤولية ويعتمد كل مواطن حيثما كان موقعه بمحاسبة نفسه ليعرف أين الصواب وأن يلامس الجوهر النقي للصواب ويتجنب الخطأ لانتشال الوطن من الفوضى وحالة الجمود القسري نحن بحاجة إلى التصالح مع الذات ومع الوطن والبحث عن القواسم المشتركة للتآلف لتصحيح أي اعوجاج بهدف التصدي لأي سلوكيات أو ممارسة خاطئة استشرت في زمن الأزمة وفي المقدمة ظاهرة الفساد التي كانت أهم مبرر للثورة والمطالبة بالتغيير.

يجب أن يدرك كل يمني أن الوطن ملك للجميع على ترابه تتوهج الأحلام ولايجب أن يستأثر به فرداً وجماعة وطائفة وهذا يستدعي الاحتكام إلى العقل والمنطق والتنبه لمن يحاول استغلال الظروف ويتعامل مع الواقع بخبث مبطن يتقمص دور الحريص ويظهر العطف والشفقة ويمهد الطريق لترجمة الرغبات الخفية المشبوهة التي تختلج في أعماقه هذه لأشياء خطيرة تعطل جهاز الوعي والإدراك لدى الكثيرين فيتحولوا إلى مصادر لإخفاق كارثي يطال الدين والقيم والأخلاق لاسمح الله.

فهل يرتقي الجميع إلى مستوى الشعور بالمسئولية تجاه الوطن والمواطن الأمر ممكن إلا أنه يقتضي بعض التنازلات عن الرغبات الذاتية وطموح الزعامة والاستئثار بكل شيء في الوطن واعتبار مصلحة الوطن العليا في صدارة الاهتمامات.

هذا هو الطريق الوحيد لترجمة الآمال والتطلعات التي خرج من أجلها الشباب وكل البسطاء والمحرومين إلى الساحات وفي المقدمة مقومات الدولة المدنية الحديثة كأهم رغبة يتطلع توفير راليها غالبية ابناء الوطن نشد على يد الاستاذ باسندوة ونسأل الله العلي القدير أن يوفقه ويسدد خطاه والله من وراء القصد.